(٢)

السيدة سودة بنت زمعة - رضى الله عنها

اشتد حـزن - رسول الله ﷺ بعد موت خـديجة ومن يدرى، ربما لم تكن ذكراها تفارقـه لحظة واحدة فقد عاش معـها وعاشت معه خمسـاً وعشرين سنة، ثلاثة أخماسها قبل البعـثة، وخمساها بعد البعـثة، وقد ملأت عليه حـياته طوال تلك المدة، وبلغ أثرها فى حياته شأوا عظيماً فى ظلال البعثة، حيث كان فى أشد الحاجة إلى مؤازرتها، لذلك منعه الوفاء لها من التفكر فى الزواج، ورثى جميع أصحابه لحـاله وودوا لو تزوج بعدها، لكن لم يجرؤ منهم أحد على أن يشير إليه بأمر الزواج لما كانوا يعرفون من شدة حزنه على السيدة خديجة.

بيد أن بعض النسـاء المؤمنات، وهى السيـدة خولة بنت حكيم السلمية - والنساء لهن حسن حـيلة على ما يردن - فاتحته فى أمر الزواج، لأنها كانت تقدر ظروف وحـدته، وحاجته إلى من يقف بجواره فى البيت من فضليات النساء، وحين عرف النبى ما أرادته السيدة خولة قال لها: ومن بعد خديجة؟

فذكـرت له - فى من ذكرت - سودة بنت زمعـة، وكان النبى

يعرف من هى سودة؟ وما هى قضيتها، فأذن لها فى خطبتها - بلا تردد - فذهبت إلى بيت سودة، فقالت لها ماذا أدخل الله عليك من الخير والبركة يا سودة؟ قالت سودة: وماذا يا خولة؟ قالت خولة: أرسلنى رسول الله أخطبك له.

قالت سودة وهى لا تكاد تصدق ما سمعت: ادخلى على أبى فاذكرى له ذلك.

فدخلت عليه خولة، وكان شيخاً فانياً قد طعنت به السن، فقالت له: إن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب قد أرسلنى أخطب له سودة.

قال فى دهشة: كفء كريم فماذا تقول صاحبتك - يعنى ابنته سودة؟؟

قالت خولة: إنها تحب ذلك.

فاستدعى زمعة ابنته سودة وقال لها: زعمت هذه أن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب أرسلها يخطبك لنفسه وهو كفء كريم، أفتحبين أن أزوجك إياه.

قالت سودة: نعم.

فقال لخولة: ادع لى محمداً للزواج، وجاء محمد ﷺ وتم الزواج المبارك.

كان عمر السيدة سودة بنت زمعة قد بلغ الخامسة والخمسين،

OBEIKAN.COM

وليس لامرأة فى سنها حاجة إلى الرجال، ولا للرجال حاجة إليها.

فلماذا - إذاً - سارع النبى ﷺ للزواج منها لحظة ذكرت خولة اسمها له؟

من المحال أن يكون زواجه منها - وبهذه السرعة - رغبة فى إشباع الشهوة فهى قد جاوزت سن اليأس، وهو عليه السلام كان قد ناهز الخمسين من عمره، وأعباء الدعوة يكاد ينوء بها كاهله، وتحتاج منه إلى كل ذرة من وقته، إنما الذى دعاه إلى هذا هو المساواة والحماية والرحمة، فسودة هذه من بنى عامر، وأسرتها كلها سارعت إلى الإسلام وهاجر منهم إلى الحبشة فى الهجرة الثانية ثمانية رجال فارين بدينهم من بطش قريش وفتنتها، ومع ثلاثة منهم هاجرت زوجاتهم، وكانت السيدة سودة قد هاجرت هى وزوجها السكران بن عمرو، وعقب عودتهم من الهجرة مات زوجها قبل الوصول إلى مكة، فصارت لا عائل لها وأبوها شيخ كبير، فخشى النبى ﷺ أن يضطهدها خصوم الدعوة، أو تتعرض لما يسوؤها فى دينها فرق لها قلبه، وأدخلها فى كفالته، فكانت ثانية أمهات المؤمنين بعد خديجة - رضى الله عنهما.

إن زواجه عليه السلام منها كان زواج مواساة وعزاء وحماية ورحمة، ولا يزعم أحد لا من العقلاء ولا من المجانين أن الرغبة الجسدية، والشهوة الجنسية هى التى حملت النبى على الزواج منها.

لا يدعى هذه الدعوة إلا من ملأ الحقد قلوبهم، واغتال الحسد عقولهم، وأعمى الجهل أبصارهم وبصائرهم، ولو كان هؤلاء المبشرون والمستشرقون وأمثالهم يحترمون أنفسهم، ويصونون سمعتهم لما نطقوا بهذا الهذيان ولو نطق به الحجر، ولكن الله زيَّن لهم هذا الباطل ليفضحهم، ويعريهم أمام التاريخ، فآثروا هم فضيحة أنفسهم لفرط كراهيتهم للحق، وبغضهم لرجل أمنه الله على وحيه ليبلغه لعباده.

والسبب أنهم يكرهون الإسلام، ويودون أن يردوا المسلمين كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم أنه الحق، وصدق الله العظيم القائل فى محكم كتابه: ﴿ودَّ كثيرٌ من أهْلِ الكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم من بَعْدِ إيمانكُمْ كُفَّاراً حَسَداً من عند أَنْفُسِهِم من بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لهُمُ الحَقُّ..﴾ [البقرة: ١٠٩]، هذا دأبهم.. والله لهم بالمرصاد.

إن زواج محمد ﷺ من السيدة سودة بنت زمعة لم يخرجه من وصف «العزوبة» إلى وصف «الزوجية» بمعناها الذى يعرفه الناس، ولهذا اشتدت دهشة أهل مكة جميعاً لما علموا بنبأ زواجه منها، وربما أدرك دهاتهم مقصد النبى من هذا الزواج «الإنسانى» النبيل الذى خلا من أسرار الزواج الحسية.

فقد تزوجها ﷺ ليحميها ويكون لها كنفاً وعائلاً، ويرفعها من مجرد مؤمنة سابقة إلى الإيمان، مهاجرة فى سبيل الله ومرضاته

إلى «أم» من «أمهات المؤمنين» فضليات نساء الأمة، أما مسارعتها هى لقبول خطبة رسول الله ﷺ فلأنها تعرف ما عرف المسلمون الأولون رجالاً ونساء قسوة الظروف البيتية التى كان يعانيها هو بعد وفاة السيدة خديجة، فوجدت فى خطبته إياها فرصة لإسهامها فى تخفيف العبء عنه، وتجنيد طاقاتها لخدمته، فإنها وإن عجزت عن العطاء فى ميدان من ميادين الحياة الزوجية، فإنها تجيد فنون الرماية بمهارة فى بقية ميادينها، والإيمان بالله الذى أسرعت إليه وهاجرت من أجله، هو الرصيد الضخم الذى قام عليه صرح تلك الأواصر الزوجية، فدخلت سودة بيت النبى ولم ولن تخرج منه أبداً، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده والله ذو الفضل العظيم.

وهذا ما ترجم عنه قولها لرسول الله ﷺ، فقد قالت له يوماً: «والله ما بى على الأزواج حرص، ولكنى أحب أن يبعثنى الله يوم القيامة زوجاً لك».

وقد كان لها ما أرادت رضى الله تعالى عنها.

* * *